﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ٥٨ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٥٩﴾ [العنكبوت: 58 - 59]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

قشقشةُ الباطل بـذكـر الـحـقِّ وصفاته

لمّا بيَّنت الآيات السّابقة حال الذين آمنوا بالباطل وذكرت صفاتهم التي بسببها استحقّوا العذاب الأليم، ناسب الانتقال إلى بيان حال الصنف المقابل لهم وهم المؤمنون بالحقِّ، وذكرت صفاتهم التي أعانتهم على دخول الجنة؛ لاستكمال التَّقابل بين أصناف الناس وجزائهم.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾: (بوأ) أصْلٌ يدلُّ على الرُّجوعِ إلَى الشَّيْءِ، الْباءَةُ والْمَباءَةُ، وهيَ مَنْزِلَةُ الْقَوْمِ، حَيْثُ يَتَبَوَّؤونَ في قُبُلِ وادٍ، أو سَنَدِ جَبَلٍ، ويُقالُ قَدْ تَبَوَّؤوا، وبَوَّأَهُمُ اللَّهُ تَعالَى مَنْزِلَ صِدْقٍ[1]، والمَباءَةُ: منزلُ القوم في كلّ موضع، وتبوَّأْتُ منزلًا: أي نزلتُه، وهيَّأته ومكّنت له فيه، وهو ببيئة سوء: أي بحالة سوء، وإنه لَحسنُ البيئة، والباءَة لغة في المباءة، ومنه سُمّي النكاح: باءً وباءةً، لأنّ الرّجل يتبوّأ من أهله، أي يَسْتَمْكِن منها، كما يتبوّأ من داره[2]، والمُبَوَّأُ: المنزلُ الذي يَلزَمُه نازِلُه، فأصْلُه من البَواء وهو اللزوم[3]، ثُمَّ قيلَ لِعَقْدِ التَّزْويجِ: باءةٌ؛ لأنَّ مَن تزوَّج امرأةً بَوَّأها مَنْزِلًا[4]، والمراد به في الآية: إنزالُهم وتمكينُهم من الجنّة ليدوموا فيها[5].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بوأ).
(2) الجوهري، الصحاح: (بوأ).
(3) السمين، عمدة الحفاظ: (بوأ).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (بوأ).
(5) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 324.

2) ﴿نِعْمَ﴾: (نعم) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى تَرَفُّهٍ وطيبِ عَيْشٍ وصَلاحٍ[1]، والنَّعيمُ والنُّعْمَى والنَّعْماء والنِّعْمَة، كُلُّهُ: الخَفْض والدَّعَةُ والمالُ، وهوَ ضِدُّ البَأْساء والبُؤْسى، ونِعْمَ: ضدُّ بِئْسَ، دالٌّ عَلَى مَعْنَى الْجِنْسِ؛ فإذا قُلْتَ: نِعْمَ الرجلُ زيدٌ أوْ نِعْمَ رَجُلًا زيدٌ، فقَدْ قلتَ: اسْتَحَقَّ زيدٌ المدحَ الَّذي يَكونُ في سائرِ جِنْسِهِ[2]، ونعم وبئس: فعلان ماضيان لا يتصرَّفان تصرُّف سائر الأفعال، لأنَّهما استُعْمِلا للحال بمعنى الماضي[3]، فنِعْمَ: كلمةٌ تُسْتَعْمَلُ في المَدْحِ بإزاءِ (بِئْسَ) في الذَّمّ[4].

3) ﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾: (وكل) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى اعْتِمادِ غَيْرِكَ في أَمْرِكَ، والتَّوَكُّلُ مِنْهُ، وهوَ إظْهارُ الْعَجْزِ في الْأَمْرِ والِاعْتِمادُ عَلَى غَيْرِكَ[5]، وكِلَ بِاللَّهِ وتَوَكَّلَ عَلَيْهِ واتَّكَلَ استَسْلم إليه[6]، فالتَّوْكيلُ: أن تعتمدَ على غيرك وتجعلَهُ نائبًا عنك، والوَكيلُ فعيلٌ بمعنى المفعول، قال تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٨١﴾ [النساء: 81]، أي: اكْتَفِ به أن يتولّى أمرك، ويَتَوَكَّلَ لك، والتَّوَكُّلُ يقال على وجهين، يقال: تَوَكَّلْتُ لفلان بمعنى: تولّيتُ له، ويقال: وكَّلْتُهُ فتَوَكَّلَ لي، وتَوَكَّلْتُ عليه بمعنى: اعتمدتُه[7]، والمراد في الآيةِ هو: الاعتماد والالتجاء إلى الله تعالى في الأمور كلِّها.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الجزاء الأحسن لذوي الصّفات الحسنة

بيّنتِ الآيتان الكريمتان ما أعدّه سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين الصادقين من جزاءٍ طيِّب، فيُقْسِمُ الله تعالى أنّه سينزلهم من الجنّة غرفًا عالية، ومن صفات هذه الغرف أنّ الأنهار تجري من

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نعم).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (نعم).
(3) الجوهري، الصحاح: (نعم).
(4) الراغب، المفردات: (نعم).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وكل).
(6) ابن منظور، لسان العرب: (وكل).
(7) الراغب، المفردات: (وكل).

تحتها، وذلك لزيادة إكرام أصحابها، ومع ذلك الجزاء العظيم قد تفضّل عليهم بأن جعلهم خالِدينَ فيها خلودًا أبديًّا، ومن صفات المؤمنين ومناقبهم الجليلة أنّهم يصبرون على طاعة الله، وعلى كل ما يَحْسُنُ معه الصّبر، وأنّهم يفوّضون أمورهم إلى الله تعالى متوكّلين عليه لا على غيره[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الواو وغرضها:

الواو في قوله جلّ شأنه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا﴾ للعطف على قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٥٢﴾ [العنكبوت: 52][2]، وجيءَ العطف بالواو لعَرْضِ جزاء كلّ فريق من أهل الإيمان وأهل الكفر والخسران.

جـزاء المؤمنين يُـظْـهِـرُ فداحة خـسـران المشركين

غرض التّعبير بالاسم الموصول:

آثر النّظم الكريم التّعبير عن المؤمنين في قوله جلّ شأنه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا﴾ بالاسم الموصول؛ وذلك للإشارة إلى علّة التّكريم الكائنة في حيّز الصّلة، أي: نالوا ذلك الجزاء بسبب إيمانهم وأعمالهم الصّالحة، ولِتَحْسُنَ المقابلةُ اللفظيَّة بين أهل الباطل وأهل الإيمان، واستحقاق كلٍّ فريقٍ منهم ما استحقّوه من الجزاء في دار الخُلْد.

بـيـانُ أسـبـابِ الـجـزاءِ مُـعـيـنٌ عـلـى الـعـمـل واجتناب الخلل

نكتة حذف متعلّق فعل الإيمان:

لم يتقيَّد فعل الإيمان في قوله جلّ شأنه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ بقيدٍ مخصِّصٍ؛ فلم يقل: (آمنوا بالله ورسوله)، وذلك لأنَّ المراد هو مطلق الإيمان فيشمل كلّ ما يجب أن يُؤمَن به، ولمحاشاة المقابلة بين لفظ الجلالة والباطل؛ فإنَّه لمّا قال: ﴿وَٱلَّذِينَ

الإيـمـان المطلق هو المقبول عند الله تعالى

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 11/ 52 - 53.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 23.

ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ [العنكبوت: 52] كان إطلاق الإيمان في حقِّ المؤمنين هو الأنسب.

نكتة عطف عمل الصّالحات على الإيمان:

الإيمان ما قَرَّ في القلب وصَدَّقَه العمل

عطف النّظم الجليل العمل الصّالح على الإيمان في قوله جلّ شأنه: ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؛ وذلك للدّلالة على أنّ العمل يصدّق الإيمان[1]، كما أنّه يشير إلى أنّ الجزاء مشروط بالعمل بعد الإيمان، وأنَّ الإيمان دعوى دليلُها الإيمان.

غرض التّعبير بصيغة الماضي:

الإشارةُ إلى رسوخ الإيمان واستقرار الأعمال الصالحة

آثر النّظم الكريم التّعبير بصيغة الفعل الماضي عن الإيمان والعمل في قوله جلّ شأنه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وذلك لأنّ السّياق جيء به للحديث عن بيان الجزاء يوم القيامة، فهو جزاء للأعمال السّابقة التي مضت وانقطعت، كما أنّه يُشير إلى أنّ إيمانهم وعملهم الصّالح كان راسخًا فيهم قد مضى عليه الزّمان حتّى قرّ ورسخ فيهم.

نوع (أل) في لفظ ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾:

الأعمال المقبولة هي المشروعة المَرْضيَّة

عرّف لفظ الصّالحات بالألف واللّام في قوله جلّ شأنه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ للدّلالة على الجنس، أي: عملوا الأعمال التي نوعها صالح مما شرعه الإسلام أو أقرَّه وارتبط بنيَّة خالصة، أو للعهد، والمراد الأعمال المشروعة.

نكتة جمع ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾:

آثر النّظم الكريم التّعبير عن الصّالحات بصيغة الجمع في قوله جلّ شأنه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ للدّلالة على كثرة الأعمال الصالحة وتنوعها.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 467.

نكتة حذف الموصوف:

حذف النّظم الجليل الموصوف وأبقى صفته في قوله جلّ شأنه: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، فلم يقل: (وعملوا الأعمال الصّالحات)، مبالغة في صلاح عملهم، فهم كأنّهم عملوا الصّالح ذاته.

نوع اللام ومعناها:

تأكيدُ الجزاء الأحسن ردٌّ على المشكّكين ومدحٌ للمؤمنين

أدخل النّظم الجليل اللّام على الفعل المضارع في قوله جلّ شأنه: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ وهي اللّام الموطّئة للقسم، والقسم مقدّر، أي: واللّه لنسكننّهم[1]، وفائدة ذلك تأكيد مضمون الخطاب، فلمّا أنكر المشركون البعث وما يقع فيه؛ ردّ عليهم إنكارَهُم بتأكيد الجزاء الحاصل يوم القيامة، وفيه مدحٌ للمؤمنين بأنَّ جزاءهم مؤكَّدٌ، لا يشكُّ فيه مؤمنٌ مستوثقٌ ما عند اللّه تعالى.

نكتة استعمال مفردة ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾ مادّة وصيغة:

نـازلُ الجنّة ملازمٌ لها ثابتٌ فيها

آثر النّظم الكريم التّعبير بالتّبوّء في قوله جلّ شأنه: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ للدّلالة على أنّ النُّزلَ في الجنّة متّصف بأنّه مكان من الحسن والطّيب جديرٌ بأن يرجع إليه ساكنه ولا يفارقه، فهو نُزُلٌ على وجه الدّوام[2]، وذلك أنَّ المَباءَةَ هي الرجوع واللزوم، فهم راجعون إلى ديارهم التي آمنوا بها، وثابتون فيها ملازمون لها.

دلالة التّأكيد وفائدته:

زرع الطُّمأنينة في القلوب الخصبة ثمرته إيمانٌ وعمل صالح

أكّد النّظم الجليل الجملة في قوله جلّ شأنه: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ بالقسم والنّون الثّقيلة للدّلالة على تحقّق حصوله، وللرّدّ على منكري البعث من المشركين، ومَنْ ظَنَّ خسرانَ من يهاجر ويفارق وطنه، ولزَرْعِ الطُّمأنينة والسرور في نفوس المؤمنين الذين يرجون ثواب اللّه تعالى.

---

(1) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 11/ 12.

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 324، والبقاعي، نظم الدرر: 14/ 467.

نوع ﴿مِّنَ﴾ ودلالتها:

تقريبُ المعاني الغيبيَّة لا يعني تحقيقها على وجه اليقين

استعمل النّظم الجليل حرف الجرّ ﴿مِّنَ﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ دون الحرف (في)؛ للدّلالة على أنّ هذه الغرف هي جزء من الجنّة كائنة من مادّتها وجنسها، وهذا تفخيم لشأن الغرف وتعظيم لها، وعلى هذا تكون للتبعيض، أو أن تكون ابتدائيّة فالغرف ابتداؤها الجنة، فهي كناية عن دخول الجنَّة والاستقرار فيها، ومعنى هذا الحرف لا يستبين على وجه التحقيق إذ هو غيبٌ مَحْضٌ، وإنَّما هي معانٍ تقريبيَّة.

معنى (أل) في لفظ ﴿ٱلْجَنَّةِ﴾:

الألف واللّام في لفظ ﴿ٱلْجَنَّةِ﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ للعهد، فهي الجنة التي دأب التّرغيب بها في القرآن الكريم.

فائدةُ تقديم شبه الجملة:

عظُمت الغرف لأنّها من الجنّة

قدّم النّظم الجليل شبه الجملة من الجارّ والمجرور على المفعول به في قوله جلّ شأنه: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ اعتناءً بالمقدَّم، وتسريعًا للمسرَّة، وتفخيمًا لشأن الغرف بأنَّها جزء من الجنّة، كما أنّ التّأخير فيه تشويق للمؤخّر.

نكتة تنكير ﴿غُرَفًا﴾:

آثر النّظم الكريم التّعبير عن الغرف بصيغة التّنكير في قوله جلّ شأنه: ﴿مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا﴾؛ تفخيمًا لشأن الغرف وتهويلًا لعظمتها، فهي غرف يُجهل عِظَمُ حُسْنِها.

بلاغة الوصف بالجملة الفعلية:

بديع الوصف التّحليلي وشريف النعت الجمالي

جاء وصف الغرف بالجملة الفعليَّة: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾، فلمّا بيّن أنها غرف، والغرف متّصفة بكونها عاليةً، وصفها بصفة أخرى مبنيّة على علوّها، فبيّن ما يوجد تحتها، وهو جريان الأنهار؛

فكأنَّه قيل: هي عاليةٌ لأنَّ الأنهار تجري من تحتها، وهذا من بديع الوصف التعليليّ، وشريف النعت الجماليّ، وآثر وصفها بالجملة الفعليَّة لما فيها من تصوير الجريان، واستحضارِ بَهائِهِ وجمالِه.

فائدة التّعبير بصيغة الفعل المضارع:

دوام جريان أنهار الجنَّةِ تعريضٌ بأنهار الدُّنيا

آثر النّظم الكريم التّعبير بصيغة الفعل المضارع عن جري الأنهار في قوله جلّ شأنه: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ للدّلالة على استمرار جريانها ودوامه، ففيه تعريضٌ بأنهار الدُّنيا التي هي عرضة للانقطاع والتّغير.

نوعُ ﴿مِن﴾ ودلالتُها:

مكان جري الماء بادِئٌ من تحت الغرف

عبّر النّظم الجليل بحرف الجرّ ﴿مِن﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ وذلك للدّلالة على ابتداء مكان جري الماء، أي أنّ بدايةَ جري الأنهار كائنةٌ من تحتها، أي ليس مطلق جهة التّحت، بل هو بعضها ملاصق لها فدلّ على قربه، وجَعَلَه الإمام البِقاعيُّ من التّبعيض، فقال: "ولمّا كان عموم الماء لجهة التّحت بالعذاب أشبه، بعّضه فقال: ﴿مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾"[1].

دلالة تقييد جري الأنهار بشبه الجملة:

من صفات جمال غرفِ الجنَّة علوُّها وإشرافُها

قيّد النّظم الجليل جري الأنهار بشبه الجملة في قوله جلّ شأنه: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ وذلك للدّلالة على جهة جري الماء بالنّسبة للغرف، فلمّا كانت الغرف عالية؛ بيَّنَ أن الماء يجري من تحتها، ففيه تأكيدٌ لعلوِّ تلك الغرف، كما أنّه يعبّر عن تمكّن أهل تلك الغرف من هذه الأنهار إذ هم يشرفون عليها من علوّ.

نكتة تقديم شبه الجملة:

تعيين موضع الجريان تأكيدٌ لعلوّ الغرف

قدّم النّظم الجليل شبه الجملة من الجارّ والمجرور على الفاعل في قوله جلّ شأنه: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ وذلك للاهتمام بجهة

(1) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 467.

جري الأنهار، فهي موضع التّكريم، وهو الوصف المرادُ تأكيدُه بعد ذكر الغرف العالية، ودلّ على التّخصيص، أي تجري من الجهة التي هي تحت الغرف وحسب، كما أنّ في تأخير الأنهار تشويقًا للأسماع بانتظار ذِكْرِها، فهي أنهارٌ لا ينابيع وسيول.

معنى (أل) في لفظ ﴿ٱلْأَنْهَرُ﴾:

عرّف النّظم الجليل الأنهار بالألف واللّام في قوله جلّ شأنه: ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَرُ﴾ للدّلالة على النّوع، فأنهار الجنة نوعٌ خاصٌّ لا نعلم عنه إلّا ما جاء به الخبر.

بلاغة المقابلة بين الفريقين:

فوقيّة الفريقين وتحتيهم متباين في الجزاء المبين

من لطائف البيان القرآني المقابلة بين حال المؤمنين وحال الكافرين في قوله جلّ شأنه: ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ فالكافرون يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم، والمؤمنون يغشاهم النّعيم من فوقهم بالغرف ومن تحتهم بالأنهار[1]، كما أنّه بيّن أنّ كلّ قبيل منهم نال جزاء عمله، فقال في حال المؤمنين: ﴿نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾، في مقابلة ما خاطب الكفّار: ﴿ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2].

بلاغة التّعبير بالحال ﴿خَٰلِدِينَ﴾:

نعيم الجنَّة باقٍ خالدٌ وبه تكتمل السعادة

عبّر النّظم الجليل بالحال ﴿خَٰلِدِينَ﴾[3] في قوله جلّ شأنه: ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾ للدّلالة على حالهم في تلك الغرف، أي إنّهم في حالة خالية من التّنغيص والنّكد، فلا يضطرّون لهجرها ومغادرتها لحظة ما[4]، فهم لا يبغون عنها حِوَلًا ولا تحويلًا، والخلود هو تمام السَّعادة؛ فإنَّ سعادةَ الدُّنيا لا تُستكمل مهما

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 24، وينظر: الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 70.
(2) القنوجي، فتح البيان: 10/ 212.
(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 455.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 467.

بلغت بأصحابها؛ لأنَّها سعادةٌ منقطعةٌ عن البقاء، مقطوعةٌ عن الاستمرار، بخلاف سعادة الآخرة فهي باقية مستمرةٌ متجدِّدة.

نكتة فصل جملة المدح:

فُصِلَتْ جملةُ: ﴿نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ لإنشاء المدح والثّناء والتّعجيب على الأجر الذي أُعطوه من الغرف، والإنشاء بعد الإخبار يقتضي الفصل، والمراد منه تعظيم شأن الغرف، وبيان علوّ قدرها[1]، وهو كناية عن مدح العاملين، فإنَّ مدحَ أجر العامل يستوجبُ مدحَه ضرورةً.

كـلُّ مـمـدوحٍ في الـقـرآنِ فهو شريف عظيم

معنى ﴿نِعْمَ﴾ وبيان فاعلها:

عبّر النّظم الجليل بالفعل الماضي ﴿نِعْمَ﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾، وهو فعل جامد يستعمل لإنشاء المدح، وهي بإزاءِ بِئْسَ في الذَّمّ[2]، وقوله تعالى: ﴿أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ هو الفاعل الذي أُسْنِد إليه فعلُ المدح والثّناء، وهو دالٌّ على المخصوص بالمدحِ[3].

مدحُ الأجر كناية عن مدح العامل

نكتة حذف المخصوص بالمدح:

حُذِف المخصوص بالمدح في قوله جلّ شأنه: ﴿نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾، والتّقدير: نعم أجر العاملين الغرفُ، أو الجنّة، أو أجرُهم؛ للإيجاز واكتفاء بدلالة ما قبله عليه[4].

معنى تعريف لفظ: ﴿ٱلْعَٰمِلِينَ﴾:

عرّف لفظ ﴿ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ لاستغراق جميع أفراد العاملين الأعمال الصّالحة بدليل ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، وليس المراد جنس العاملين.

دلالة التّعبير بلفظ ﴿ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ مادّة وصيغة:

آثر النّظم الكريم التّعبير بلفظ العاملين في قوله جلّ شأنه:

الأعـمـال نيَّة ما لم تنضج بنيَّة

(1) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 467، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 23.
(2) الراغب، المفردات: (نعم)، ودرويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 455.
(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 455.
(4) الواحدي، البسيط: 17/ 553، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 45.

﴿نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ دون الفاعلين؛ لأنّ العمل أخصّ من الفعل، وهو ما كان بقصد[1]، فهم عملوا الصالحات عن قصد ونيَّة صادقة، ولم يعملوها رغبة في الدنيا وكسب الجاه، ففيه بيان أنَّ الأعمال بالنيّات، وأنَّ الأعمال المقبولة التي ينال عليها العامل أجره يوم القيامة ما كانت عن نيَّة صحيحة في الاعتقاد والتَّوَجُّه، وقد جاء التّعبير بصيغة اسم الفاعل للدّلالة على أنّ الثّناء كائن لرسوخ صفة العمل الصّالح فيهم.

نكتة الوصف بالاسم الموصول:

وُصف ﴿ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ بالاسم الموصول: ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾؛ دون أن يقول: (الصابرين) لبيان صفة هؤلاء العاملين الذين استَحَقُّوا تلك الجَنّات، فالصبر علَّة الوصول إلى الفوز العظيم ونَيْل الأجر الكريم، فهو تعريفٌ للعاملين بأنَّهم الذين صبروا، فصبرُهم عنوانُ الوصول إلى رضا ربِّ العالمين، مع ما فيه من رائحة الاختصاص، إذِ الصَّبر الحقيقيُّ المُعْتَبَر هو صبرُ المؤمنين العاملين.

الصّبر أصلُ الوصول إلى الفوز العظيم ونَيْلِ الأجر الكريم

دلالة عطف التوكل على الصبر:

عُطِف قوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ على قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ بالواو، وذلك لأنّ الجمع بين صفتي الصّبر والتّوكّل مطلوبتان في أمر الهجرة ومفارقة الأهل وترك البلاد والجهاد، وهاتان الصِّفتان هما أصلٌ جامع في النَّجاح في الدّارين، فالصَّبر: اعتمادُ المؤمن على ترك رغباته، وحَبْسُ النَّفس عن شهواتها، والتوكل: هو الالتجاءُ إلى الله تعالى في قضاء الحاجات، والقيامُ بالواجبات.

الصّبر على الهجرة والغربة يقتضي التّوكّل على الله وحده

فائدة اختيار عنوان الرّبوبيّة:

آثر النّظم الكريم التّعبير بلفظ الرّبوبيّة في قوله جلّ شأنه:

(1) الراغب، المفردات: (عمل).

﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ للدّلالة على أنّهم إنّما توكّلوا عليه لمعرفتهم بسابق إحسانه لهم، وكونه القائم على صلاح حياتهم، وأضاف لفظ الربوبيَّة إلى الضَّمير العائد على المؤمنين للدّلالة على استشعارهم عطفه عليهم، واستحضارِهم صفةَ الرّبوبيّة حال توكّلهم عليه، فإنَّ المقام هو مقام رعاية وعناية بالعباد، في إقامة العبوديّة في الأرض التي يهاجرون إليها.

مقامات العناية والرعاية يغلب معها عنوان الربوبية

نكتة تقديم شبه الجملة على الفعل:

قُدّم الجارّ والمجرور على الفعل في قوله جلّ شأنه: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ للدّلالة على حصر توكّلهم على الله تعالى، أي لا يتوكّلون على غيره[1]، وهو ثناء عليهم بإخلاصهم وإظهار توحيدهم؛ فإنَّ مقتضى التوكل الحقّ أن لا يكون إلّا للإله الحقّ.

مقتضى التوكل الحقّ أن لا يكون إلّا للإله الحقّ

بلاغة استعمال مفردة التوكل مادّة وصيغة:

جاء استعمال مفردة التوكل بصيغة الفعل المضارع في فاصلة الآية في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾؛ للدّلالة على تفويض شؤونهم إليه، واعتمادهم عليه، فجعلوا الله تعالى وكيلًا لأعمالهم؛ ثقةً به وعبادةً له، وعبّر عن ذلك بصيغة الفعل المضارع للدّلالة على أنّهم يتوكّلون عليه باستمرار متجدّد، فكلمّا عَرَضَ لهم شيء في أرزاقهم وحياتهم بعد الهجرة إليه والجهاد في سبيله؛ فإنّهم يُهرعون إليه بتفويض الأمر[2] كلِّه إليه وحدَه.

حسنُ التَّوكُّل وديمومتُه طاقةُ المؤمن وغذاءُ المحسن

نكتة ترتيب الصِّفات المذكورة:

رتّب النّظم الجليل صفتي الصّبر والتّوكّل في قوله جلّ شأنه: ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾، وقد سبقتها الصّفتان: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فتحصّل أربع صفات: الإيمان، والعمل

الإيمان أصلٌ والعمل ثمرته والصبر مادته والتوكل نجاحه

(1) الإيجي، جامع البيان: 3/ 287.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 468.

الصّالح، والصّبر، والتّوكّل، وقد رتّبها ترتيبًا وجوديًّا: فأوّل عمل هو الإيمان، ثمّ يتبعه العمل الصّالح وهو نتيجة الإيمان، ومن تلك الأعمال الهجرة وهي تقتضي الصّبر على ما يصاحبها من مفارقة الأهل والغربة، ثمّ ما يلزم المهاجر من التّوكّل على الله تعالى.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

التّبوؤ والإنزال:

الإنـــزال عـامّ والـتّـبـوّؤ إنـزال بتمكّن ودوام

التّبوّؤ: يقال بوَّأتُ للرجل منزلًا وبوّأته منزلًا: هيَّأته ومكَّنت له فيه، وسُمّي النكاح: باءً وباءةً؛ لأنّ الرّجل يتبوّأ من أهله، أي: يَسْتَمْكِن منها، كما يتبوّأ من داره[1]، والمُبَوَّأُ: المنزل الذي يلزمه نازله، فأصله من البَواءِ وهو اللزوم[2]، أمّا النُّزولُ فهو في الأصل انحِطاطٌ من عُلْوّ، يقال: نَزَلَ عن دابَّته، ونَزَلَ في مكان كذا: حَطَّ رَحْلَهُ فيه[3]، فالنّزول في المكان يدلّ على حطّ الرّحل فيه، أمّا التّبوّؤ فيدلّ على لزوم المنزل واللّبث فيه والتّمكّن منه، فهو نزول يتبعه البقاء، فهو أدلّ على المُكْث في المكان واللُّبْثِ فيه من مجرّد النّزول، فعبّر النّظم الجليل بالتّبوّؤ في بشارة المؤمنين في إنزالهم الجنّة لمزيد الإكرام، ولأنّ السّكن في الجنّة واقع على وجه الخلود والمكث، لذلك قال ابن عطيّة في تفسيره في بيان معنى قوله تعالى: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾: "لَنُنْزِلَنَّهم، ولَنُمَكِّنَنَّهم، ليدوموا فيها"[4]، فالمراد إنزالُهم في تلك الغرف وتمكينُهم منها ليدوموا فيها.

(1) الجوهري، الصحاح: (بوأ).
(2) السمين، عمدة الحفاظ: (بوأ).
(3) الراغب، المفردات: (نزل).
(4) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 324.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والأربعون،
سورة العنكبوت من الآية 04 إلى سورة الرّوم الآية 07
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والأربعون، سورة العنكبوت من الآية 04 إلى سورة الرّوم الآية 07
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 42 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-93-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 42 : المجلد الثاني والأربعون، سورة العنكبوت من الآية 04 إلى سورة الرّوم الآية 07.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-93-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-2154237 بتاريخ 2024/12/25م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»